"فِتنة"

في غياهب سكرة الموت، أعانق الحياة عناق المُفارق ...

و فِيّ حرقة فيها اشتياق...

أبكي لوعة فكّ الوثاق.

و أنا أتهاوى في عمق الجحيم، إذا بيديْن بين السّماء و الأرض تحملاني ...

بتلك الأصابع تلمزاني ...

تضعاني و قد أبكمتني الدهشة إبكاما.

عملاق عظيم زار ظلّه الأقاصي...

كانت امرأة حسناء، فاتنة الجمال...

تلامس في الحسن الكمال...

تكاد تلفظ النّفَس الأخير.

عليها سلاسل ملفوفة، من ذهب و فضّة كبّلتها...

عن الحراك ألجمتها...

كاد يُغشى عليّ من الخوف...

و منها روحي تنسلّ من الجوف...

كيف و لماذا؟

فقالت بصوت لونه الزّبرجد...

و ألحانه عقيق و زمرّد:

أنا نفسُك، الحبيبة المِطواعة...

أنقذتك من الموت و أعدتك من العدم إلى عذب الحياة و نعيمها...

إلى دنيا حلوة عطرة...

خضراء نضرة...

فبالله حرّرني...

إلى ما أريد يسِّرني...

نظرتُ فيها و قلت: أنتِ كما كنت...

بهيّة الطّلعة...

حلوة اللّسان كريمة الكلام...

لكنّي أعرفُك يا حِرباءَ ألفَ لون...

بالخداع وطرَكِ تقضين...

و تُهلكين و تمضين...

لا وفاء لأمرك عندي...

و أنا الذي كبّلتُك لسنوات...

و ذقت عذاب الموبقات...

فقالت متوسّلة: يا خليلي حياتُك قصيرة صمّاء...

و أحلامُك صغيرة عذراء...

تحرّر و اسلك الأرض و تمتّع...

خذ المال و النّساء و ما اشتهيت، خذ ما تريد و اغتنِم...

كُن في دنياك كالجبّار النّهِم...

حرام أن تترُك الخيرات و الغنائم...

لمن هو في قدر البهائم...

أنت أولى و أسبق...

فامضِ، اسبق و لا تلحق.

قُلت ختاما للكلام: أزيدُكِ قيدا على قيد...

فأنتِ العبد و أنا السيّد...

إن فتحتُ لكِ ثغرا...

صرتُ مَن يُقتادُ لكِ دهرا...

إن رُمتُ لما ترومين، طفقتُ نادما...

فأولّها فتنة، فشهوة، و آخر الأمر خسران مبين...

فهاجت و ماجت، و صرخت صرخةً شقّت بها الأفق...

و هجمت عليّ قاتلةً...

حينها نهضتُ و العرق يغسلني...

و قلبي يقرع طبول الخوف و الهلع،...

كان كابوسا، قارب الحقيقة قربا...

تلك فتنتُك يا نفس...

يا من زيّنتِ لي ما بان و ظهر...

و أخفيتِ ما زان عن البصر...

مُداراتُك ويلٌ مُستطير...

و اللّين لكِ كالسُّكر حول نار تتراقص حولها الشّياطين...

لك يا نفسُ رغبة شعواء...

لك يا نفس فتنة هيجاء.